مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (3)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (3) 2011

المهالبة ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي حتى قيام الدولة العباسية

الدكتور محسن يونس*

(تاريخ الإيداع 11 / 5 / 2011. قبل للنشر في 25 / 7 / 2011)

□ ملخّص □

عُرف المهلب وآله في التاريخ العربي الإسلامي بشهرتهم السياسية والعسكرية، وارتبط صيتهم في داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها بالمنجزات السياسية والعسكرية المهمة التي أنجزوها في الدولة الإسلامية منذ قيامها على يد الرسول صلى الله عليه وسلم مروراً بالدولة الأموية حتى قيام الخلافة العباسية، وقد تجلّى ذلك باشتراكهم بأعمال الفتوح على الجبهة الفارسية بخاصة، واعتماد الخلفاء الأمويين عليهم اعتماداً كبيراً في حرب الخوارج وتدميرهم، ومن هنا رأينا أنه من الأهمية بمكان أن نبرز دور هذه الأسرة العربية –ورجالها العظماء في تاريخ العرب والإسلام .

الكلمات المفتاحية : المهلب ، الفتوحات –عبد الله بن الزبير –الأمويين

*أستاذ– قسم التاريخ –كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة تشرين –اللاذقية –سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (3)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (3) 2011

Al-Mahaliba and their Role in Islamic History until the Abbasiad Age

Dr. Mohsen Younes*

(Received 11 / 5 / 2011. Accepted 25 / 7 / 2011)

□ ABSTRACT □

Some Arab men of the Islamic Period were especially important in the role they played at both the political and military levels. One of the most prominent of such personalities of the Omayyad State was Al-Muhalab Bin Sagheera, who provided great service to a number of Omayyad Caliphs, particularly during Caliph Abd Al-Malek Bin Marwan's rule. Bin Marwan entrusted Bin Sagheera in maintaining peace in the eastern part of the Islamic State. Bin Sagheera accomplished this mission perfectly well, silencing Al Khawarejs' dissenting voice and eliminated them. He also took part in the invasion of the countries situated beyond the River, thus deserving the Caliph's reward: appointment of Khurasan.

Keywords: Al-Muhalab Bin Sagheera, Omayyad Period, Al-Khawarj.

***Professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia, Syria.**

مقدمة:

ارتبط آل المهلب في تاريخهم الطويل بقبيلتهم الأزد العربية ، وبموطنهم الأصلي عُمان، كما ارتبط اسمهم بمعظم الإنجازات السياسية والعسكرية المهمة التي أنجزوها في الدولة الإسلامية منذ قيامها على يد الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم مروراً بالدولة الأموية . فمنذ أن تحرك أبو صفرة والد المهلب للمشاركة في الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، كان لقبيلة الأزد فرقة من الجيش الإسلامي يقودها أبو صفرة وأصبح لهم حي خاص في البصرة بعد تمصيرها ، وبعد ذلك أُطلق عليها (بصرة المهلب) وأُطلق على أهل البصرة (موالي المهلب) لشدة ارتباطهم بآل المهلب . فمن هم المهالبة ؟

ومن هو أبو صفرة؟

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث بالتعرف على شخصيات عربية شغلت أدواراً مميزة في تاريخ العرب والإسلام في المجال العسكري والسياسي والإداري وغيره، ومن هنا رأينا أنه من الواجب علينا نحن المهتمون بكتابة تاريخنا العربي أن نسلط الضوء على شخصية المهلب بن أبي صفرة وآله وإبراز دوره في حقبة مهمة من تاريخنا .

منهجية البحث:

كتب هذا البحث بطريقة علمية من خلال المنهج الاستقرائي إضافة إلى الإطلاع على عديد من المصادر والمراجع التاريخية التي تؤرخ لتلك الحقبة معتمدين أسلوب الجمع والتحليل والمقارنة بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية ما أمكننا ذلك .

1- نسب المهالبة وإسلامهم :

تنسب أسرة المهالبة إلى المهلب بن أبي صفرة، واسم أبيه صفرة (قاطع بن سارق بن ظالم(1)) الذي يرجع نسبه إلى قبائل الأزد اليمنية(2) التي هاجرت إلى عُمان، وكانت إحدى الهجرات اليمنية التي تفرقت في شبه الجزيرة العربية في أعقاب عوامل متعددة منها تصحر أرض اليمن، وتحول طرق التجارة العالمية عنها، لأنها كانت تشكل مورد رزق أبنائها الرئيس، إلى جانب انهيارات سد مأرب الشهير في روايات ذكرها الرواة والنسَّابون على صفحات مؤلفاتهم ، وأصبحت قبيلة الأزد عند تفرقها مجموعة أقسام وقد أضاف كل قسم منها شيئاً يميزه عن غيره ، فقيل أزد السراة وأزد شنوءة وأزد عُمان .....نسبة إلى المكان التي هاجرت إليه واستقرت فيه بعد هجرتها (3) ويروي النسابون أن أبا صفرة من أهل مدينة (أدم العُمانية) من المنطقة الداخلية في عُمان، وأن آل البو سعيد الأسرة الحاكمة في عُمان في يومنا هذا ينتسبون إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة(4) ويروي النسابون أن أبا صفرة كان صحابياً والتقى بالرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة وبايعه على الإسلام وأن رسول الله هو الذي أطلق عليه تسمية (أبي صفرة)، فقد ذكر ابن حجر في الإصابة ، "أن أبا صفرة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كي يبايعه وعليه حلة صفراء.... فلما رآه قال له من أنت .

قال: أنا قاطع بن سارق بن ظالم .....فقال له النبي : أنت أبو صفرة . دع عنك سارقاً وظالماً . فأعلن أبو صفرة إسلامه ، وقال : إن لي ثمانية عشر ذكراً، ورزقت بنتاً سميتها صفرة، فقال النبي وأنت أبو صفرة"(5).

ويعترف ابن حجر بأن هذه الرواية فيها اختلاف ، وأن بعض الروايات عند أهل الأخبار تنكر صحابة أبي صفرة ولقائه النبي صلى الله عليه وسلم، كما جاء عند ابن عبد البر في كتابه (الاستيعاب) أن أبا صفرة كان مسلماً على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفد عليه ووفد في عهد عمر بن الخطاب (6)، ويبدو أن هذه الروايات تحتاج إلى تحليل وترتيب وترجيح طبقا لما ورد في المصادر الإسلامية .فاحتمالات أن يكون أبو صفرة قد ذهب للقاء الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ليعلن إسلامه بين يديه ممكنة إذ تروي كثير من المصادر أن الإسلام قد عرف طريقه إلى عمان في وقت مبكر من ظهور الدعوة الإسلامية في الحجاز، وأن أول من اعتنق الإسلام في عُمان هو مازن بن غضوبة من أهل سمائل الذي سافر إلى المدينة، والتقى بالنبي، وأعلن الإسلام أمامه وتبعه عدد من رجالات عُمان في هذا الاتجاه (7).ويروي ابن سعد في الطبقات أن وفودا من أهل عُمان رحلت إلى المدينة والتقت بالنبي صلى الله عليه وسلم لإعلان إسلامها وكان ذلك قبل الفتح وطلبوا من الرسول أن يرسل معهم من يعلمهم شؤون دينهم (8). وكان هذا قبل أن يبعث الرسول (ص)برسالته إلى حاكمي عمان (عبد وجيفر ابني الجلندي) يدعوهما فيها إلى الإسلام (9) فإذا أضفنا إلى هذا أن أبا صفرة كان مقدما في قومه وكان من أصحاب السيادة والزعامة فلما أسلم زاد شرفه وقدمه قومه (10). فإننا نرجح حوادث رحلته إلى المدينة ولقائه بالرسول (ص) كما جاء في رواية ابن حجر السابقة. ومن هنا نستطيع أن نقول: إن رواية ابن عبد البر في الاستيعاب ينقصها الدقة فإنه من المعروف – كما تذكر عدد من المصادر –أن أبا صفرة قد التقى أبا بكر الصديق بعد توليه الخلافة الإسلامية والروايات تؤكد أنه في أعقاب وفاة الرسول (ص) عاد عمرو بن العاص من عُمان وكان واليا عليها من قبل الرسول (ص) منذ سنة 8هـ 629م إلى المدينة مصحوبا بوفد عُماني يقدر بحوالي سبعين فارسا على رأسهم أحد حاكمي عمان هو (عبد بن الجلندي)وكان من بين أعضاء هذا الوفد أبو صفرة (11). وكانت مهمة الوفد مبايعة أبي بكر بالخلافة .وكان عمرو بن العاص في رحلته "يلقى الناس مرتدين ،وقدم على المسلين بالمدينة فطافوا به يسألونه فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا إلى المدينة (12).وما إن وصل هذا الوفد إلى المدينة حتى التقى بالخليفة أبي بكر وتحدث أبو صفرة باسم الوفد فقدم إليه عمرو بن العاص سالما وقال:"هذه أمانه كانت في أيدينا وذمتنا وديعة لرسول الله (ص) فقد برئنا منها إليك ، فقال أبو بكر : جزاكم الله خيرا "(13).وقد أكد أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني هذه الرواية (14).

2- المهالبة وأعمال الفتوح :

ذكر أن أبا صفرة كان أحد القواد الذين شاركوا في الحملات الإسلامية على بلاد فارس بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، وكان عمر قد أصدر تعليماته إلى والي عمان في ذلك الوقت (عثمان بن أبي العاص الثقفي) بمراقبة تحركات الجيش الفارسي في الخليج العربي ،ويبدو أن أبا صفرة كان على خبرة ودراية في شؤون البحر والملاحة البحرية ،فعندما طلب الخليفة عمر بن الخطاب من والي عمان أن يقطع الخليج بالسفن إلى فارس طلب عثمان بن أبي العاص من أهل عمان أن يدلوه على من يشاوره في أمر هذه الحملة البحرية فاقترحوا عليه أن يشاور أبا صفرة (15).ندب عثمان بن أبي العاص المقاتلة لتنفيذ هذه المهمة القتالية التي كلفه بها الخليفة عمر بن الخطاب فاجتمع له حوالي ثلاثة آلاف مقاتل كان أبو صفرة قائد قومه من الأزد (16) في هذه المهمة القتالية واصطحب معه من أبنائه النجف والمغيرة وجيب (17). وتمكن قائد الخليفة من هزيمة جيش الفرس في الخليج العربي واستولى على جزيرة (ابن كاوان) – البحرين حاليا – وطارد الفرس حتى الضفة الشرقية من الخليج العربي وأوقع بهم الهزيمة في كرمان وأبلى أبو صفرة ورجاله من المهالبة بلاءً حسنا في هذه المعارك (18). ولم يتوقف أبو صفرة عن مشاركته إخوانه المسلمين في المعارك التي خاضوها على الجبهة الفارسية في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، فقد ذكر ابن خلدون في

كتابه العبر أن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين إلى فارس في ألفين من المقاتلين فسار إلى توج وعلى مجنبتيه جارود العبدي وأبو صفرة والد الملهب، وكان كسرى قد أرسل أحد قادته ويدعى (شهرك) على رأس جيشه للقاء جيش المسلمين فالتقوا بتوج وانتهى الأمر بهزيمة الفرس وقتل قائدهم (شهرك) ، وطاردهم المسلمون إلى سابور وحاصروها حتى خضع أهلها للصلح (19).

ويبدو أن أبا صفرة أحب المقام في توج (مدينة من بلاد فارس)، وجعلها مستقرا له وقومه من المهالبة الذين كانوا تحت قيادته في سلسلة الانتصارات التي شاركوا في تحقيقها على الجبهة الفارسية، غير أن مقامه بها لم يدم طويلا ، فعاد أدراجه إلى مدينة البصرة في خلافة عثمان بن عفان حيث رحب به واليها عبد الله بن عامر ابن خال الخليفة عثمان – ترحيبا حارا(20)ثم وضع أبو صفرة نفسه وبقية مقاتليه من المهالبة تحت قيادته (21).هذا ولم يطل الزمن طويلا بعد عودة أبي صفرة إلى البصرة حتى انتقل الخليفة عثمان بن عفان إلى جوار ربه، وبويع بالخلافة الإمام علي كرم الله وجهه وبدأ المسلمون مرحلة من تاريخهم السياسي على أثر الصراع الذي احتدم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ،وقد برزت أهمية أسرة المهالبة في تلك الفترة العصيبة من تاريخ أمتنا الإسلامية عندما بادر الخليفة علي بن أبي طالب إلى لقاء أبي صفرة في أعقاب موقعة الجمل في البصرة ودار بينهما حوار، يفهم منه أن أبا صفرة، كان سيد قومه وزعيما لقبيلة الأزد بالعراق في ذلك الوقت لأن عليا عندما أظهر شكواه مما قاساه من قومه ، قال له أبو صفرة :"والله يا أمير المؤمنين لو كنت حاضرا ما تخلف عليك منهم سيفان ". فطلب علي من أبي صفرة أن يأتيه بأحد أبنائه ليعقد له لواء أمان للذين هربوا بعد موقعة الجمل ليرجعوا إلى بلادهم ، فطلب أبو صفرة من ابنه النجف أن يتولى أمر هذا اللواء لكنه رفض ذلك بحجة تخوفه من نتائج معركة الجمل، فأسند هذه المهمة إلى ابنه المهلب فقبلها تم عقد راية الأمان للمهلب ورجع معظم الفارين إلى البصرة "و تيمنى الناس بلواء المهلب بن أبي صفرة " ليبدأ المهالبة بعد ذلك دورهم التاريخي المميز (السياسي والحزبي) في ا لدولة الإسلامية .[22] من خلال مطالعتنا للعديد من المصادر الإسلامية التي أرخت لتلك الفترة لم نجد تاريخاً محدداً فيها تذكر سنة وفاة أبي صفرة، وكل ما عرفناه أنه مات في مدينة البصرة في ولاية عبد الله بن عباس للخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .يذكر نور الدين السالمي في كتابه تحفة الأعيان قوله : " يقال أنه توفي في المسيرة إلى موقعة صفين [23] مما يرجح أن تكون وفاته حوالي سنة 37هـ /657 م) .بعد وفاة أبي صفرة تضن علينا المصادر أيضا في من تولى زعامة الأزد من بعده ولكن الدلائل توحي بأن أهم الشخصيات في هذه الأسرة آنذاك ابنه (المهلب) .

فعلى الرغم من صغر سنه مقارنة بإخوته [24] أظهر شجاعة نادرة في مجال الحرب والفروسية وبعد النظر في تحليله للوقائع واتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب علت منزلته وكبر شأنه في قومه ، فكان هو المرشح الأول لتولي زعامة أسرة المهالبة ، هذا ما ترويه المصادر عن مساهمته في غزو بلاد السند سنة 44 هـ . /664 م حيث خاض في تلك السنة معركة عنيفة ضد قبائل من الترك تكللت معاركه ضدهم بنجاح باهر وتمكن من القضاء عليهم .[25] كان المهلب خلال هذه الفترة يقود جيشا من قبيلة الأزد بصحبته أهله [26] مما يشير إلى أنه قد خلف أباه في ما كان تحت يده من مقاتلي قومه.

3-المهالبة والدولة الأموية:

مع نهاية عصر الدولة الإسلامية الأولى وبداية عصر الدولة الأموية استمر دور المهلب وآلة بالصعود وذلك بسبب المهام العسكرية والسياسية الكبرى الذي كلفه بها هؤلاء ا لقوم في تلك الفترة التاريخية .

فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه أن معاوية بن أبي سفيان أمر واليه على العراق زياد بن أبيه أن يولي خراسان (الحكم بن عمرو الغفاري وكلفه بغزو (هراة) وفتح (جرجان) فقام بالمهمة بمشاركة المهلب بن أبي صفرة وأهله الذين أظهروا بأسا ومهارة في قتال العدو في تلك المناطق القاسية والشديدة الوعورة مع أشد العناصر السكانية قوة وضراوة .[27] وحول دور المهلب ومهارته في قتال عدوه ، فقد ذكر الطبري أنه بينما كان الحكم بن عمرو يلاحق عدوه في مناطق وعرة من بلاد الترك وقع هو وجيشه في كمين الأتراك ، عندما تحرج موقف الحكم أسند قيادة الجيش إلى المهلب، الذي تمكن عن طريق الحيلة والتدبير من أسر أحد زعماء الطرق وساومه على حياته في مقابل أن يدلهم على مخرج من الكمين ، وتمكن عن طريقه من النجاة بجيشه وما يحمله من غنائم من الحصار الذي فرضه علهيم الترك .[28]ويبدو أن ما أظهره المهلب بن أبي صفرة من مهارة قتالية وحسن تصرف وحنكة في المواقف العصيبة ، جعله أحد القادة المشهورين في حروب الجبهة الشرقية ، فكان الولاة على خراسان يتمسكون بأن يكون في صحبتهم المهلب بن أبي صفرة ، فعندما تحرك سعيد بن عثمان ابن عفان سنة 56هـ / 675 م لولاية إقليم خراسان كان من بين قادته المهلب بن أبي صفرة .[29] وقد شارك المهلب في العديد من المعارك العنيفة في هذه الفترة خاصة في غزو سمرقند ، يقال إن سعيد بن عثمان والمهلب قد فقئت عيناهما خلال هذه المعارك .[30] وفي عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، تسلم ولاية خراسان وسجستان سلمة بن زياد عام 61هـ/ 680 م الذي خرج من الشام طالباً البصرة، ليحمل معه أهله وولده وليعلم أهل البصرة بولايته بلاد خراسان ، ليخرج معه من أحب الجهاد فخرج معه المهلب ابن أبي صفرة وعدد من سادات البصرة وفرسانها ،[31] وزحفت جيوش سلمة بن زياد إلى بخارى وكانت عليها ملكة تدعى (خاتون) فلما شعرت بالخطر ،أعلنت رغبتها في الزواج من ملك الصغد على أن يأتي لتملك بخارى ، والوقوف في وجه المسلمين ، فأقبل ملك الصغد في مائة وعشرين ألف مقاتل ، وأمام هذا العدد الضخم من أعداء المسلمين رأى سلمة أن يجعل على طليعة جيشه المهلب بن أبي صفرة ، بعد معارك عنيفة تمكن المهلب من إلحاق الهزيمة بجيش الترك وقتل ملك الصغد في أرض المعركة .[32] استمر سلمة بن زياد والياً على خراسان ، حتى وفاة يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان في صفر سنة 64هـ/683م ، وأراد سلمة أن يكتم خبر موته خوف الفتنة بين القبائل ولكن الخبر ذاع في الناس بعد فترة وكان خليفته معاوية الثاني ، فدعا سلمة الناس إلى البيعة على الرضا حتى تستقيم أمور الناس على خليفة ، فبايعوه ، ثم نكثوا بعد شهرين [33] ، لما تأزمت الأمور أمام سلمة بن زياد خرج من خراسان واستخلف عليها المهلب ابن أبي صفرة ، لكن المهلب كان مدركاً لحقيقة الصراع القبلي المحتدم في خراسان وفي الشام والحجاز ، فلم يشأ أن يقحم نفسه في هذا الصراع ، لا سيما أن معظم القبائل خاصة القيسية، لم تكن راضية عن إسناد ولاية خراسان إلى المهلب، مما حدا بسلمة بن زياد لأن يكتب بولايتها لعبد الله بن خازم السلمي حينما التقى به في نيسابور وانسحب المهلب من خراسان في سلام قبل أن يصلها الوالي الجديد .[34].

وفي عهد سيطرة عبد الله بن الزبير على العراق بواسطة أخيه مصعب، عاد المهلب ابن أبي صفرة من خراسان واستقر مع رجاله في مقره بمدينة البصرة عام 64هـ/683م .تظهر الروايات التي ذكرها الإخباريون في مصنفاتهم أن عبد الله بن الزبير كان يعرف قدر المهلب وأهميته وانضمام رجل مثله إلى صفوفه ، نجح في أن يجذبه للقائه في مكة حيث تشاور الرجلان في أمر الأمة إذ أبرز ابن خلكان مكانة المهلب وأهميته بوصفه قائداَ ملهماً له شعبية وذكر حميد في العراق عندما دخل فجأة عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف إلى اجتماع عبد الله بن الزبير والمهلب سأل ابن الزبير قائلا : من هذا الذي شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا ؟ قال : أو ما تعرفه . قال : لا ، قال :هذا سيد أهل العراق ، قال : فهو المهلب ابن أبي صفرة إذن .[35] ويبدو أن هذه المشاورات بين الرجلين قد أسفرت عن إقناع عبد

الله بن الزبير للمهلب بأن يتولى خراسان نائباً عنه كانت خراسان في ذلك الوقت ما زالت في حالة اضطراب فأقبل المهلب إلى البصرة في طريقه إلى خراسان سنة 65هـ/684 م وكانت شوكة الأزارقة من خوارج المشرق بقيادة نافع بن الأزرق قد اشتدت على المدينة ، مما اضطر أمير البصرة عبد الله بن الحارث إلى محاولة صد الأزارقة عن مدينته .ودارت المعارك العنيفة بين الجانبين رغم مقتل زعيم الأزارقة نافع بن الأزرق إلا أن الحرب استمرت وكانت الغلبة فيها للأزارقة الذين تمكنوا من الاقتراب من مدينة البصرة ، فأتى أهلها إلى الأحنف ابن قيس وسألوه أن يتولى حربهم ، فأشار عليهم بالمهلب بن أبي صفرة [36].

في هذه الأثناء، كان المهلب قد قدم من قبل عبد الله بن الزبير حاملاً تقليده بولاية خراسان، فخرج إليه أشراف أهل البصرة وكلموه في حرب الأزارقة .[37] لكن المهلب علقَّ موافقته على حربهم والتصدي لهذه المهمة الخطيرة بشروط فقال : " والله ما أسير إليهم إلا أن يجعلوا إليَّ ما غلبت عليه يعطوني من بيت المال ما أقوي به من معي ، فأجابوه إليَّ ذلك ".[38] وكتبوا ذلك كتاباً وأرسلوه إلى عبد الله بن الزبير فأمضاه .[39]

عندئذ بدأ المهلب في إعداد العدة لقتال الأزارقة، تمكن من حشد جيش قدر بحوالي عشر ألفاً معظمهم من قومه [40] نظر في بيت مال البصرة فكان لا يفي بحاجة الجند فتفاوض المهلب مع تجار البصرة ، وأوضح لهم أن تجارتهم قد كسدت لانقطاع مواد الأهواز وبلاد فارس ، توقفت حركة التجار لسيطرة الأزارقة على هذه المناطق وسألهم معاونته بالمال ، ووعدهم بأن يمكنهم من تجارتهم ويرد لهم حقوقهم ، فاستجاب تجار البصرة وأخذ المهلب من المال ما يصلح به جيشه.[41]وقد شارك آل المهلب منذ البداية في جيش المهلب الذي تحرك من البصرة سنة 65هـ/ 684م فكان على يمينه ولداه يزيد وحبيب ، وعلى ميسرته ولداه المغيرة وقبيصة ، وعلى جناح ميمنته ابنه عبد الملك وعلى جناح ميسرته ابنه المفضل ، في كمينه ولداه زياد ومروان ، وبين يديه ابنه محمد وأخوه المعارك بن أبي صفرة .[42]

كان على المهلب في بداية المعارك أن يزيح الأزارقة الذين يرابطون على الضفة الشرقية لنهر الفرات وأن يعيد الجسر الذي يربط الضفتين ، ليتمكن من العبور بجيشه ، فأرسل ابنه المغيرة في السفن ، ونزل المغيرة على الضفة الشرقية للنهر وحارب الأزارقة فشغلهم وأزاحهم عن مواقعهم حتى تمكن المهلب من إعادة عقد الجسر وعبر بكامل جيشه مما اضطر الأزارقة إلى الانسحاب .فنهى أصحابه عن ملاحقتهم [43] . وكانت سياسة المهلب العسكرية في تعامله مع الأزارقة ، تعتمد على التريث ودراسة الموقف بدقة ، وعدم التسرع في الاشتباك أو خوض معارك قد تؤدي إلى نتائج عكسية : فأقام المهلب في موقعه أربعين يوماً يجبي الخراج وينظم قواته ،وأتت سياسته نتائجها في تقوية جيشه ، وتقوية جسور الثقة بينه وبين أهل البصرة خاصة التجار منهم حيث دفع لهم مستحقاتهم وقروضهم وأعطى أصحابه ، فأسرع إليه الناس رغبة في مجاهدة الأزارقة وطمعاً في الغنائم والتجارة [44] حتى بلغ عدد قواته خلال هذه المدة ما يزيد على عشرين ألفاً .[45] لم يكن المهلب غافلاً عن مقدرة خوارج الأزارقة العسكرية وشيمتهم القتالية لذلك كانت خطة تتبعهم بحذر شديد وكانوا قد انسحبوا إلى الأهواز بعد معاركه السابقة معهم وخاض المهلب وآله معارك طاحنة في الأهواز ومناطقها سقط بنتيجتها أخوه (المعارك بن أبي صفرة) قتيلاً بالقرب من نهر تيري .[46] ويبدو أن الأزارقة أرادوا أن يحسموا الموقف لصالحهم فتجمعوا بكل حشودهم وأسلحتهم ليخوضوا معركة فاصلة ضد المهلب ، وكان تجمعهم في منطقة (لي وسلبري بالأهواز).[47] والتقى الجيشان في معركة قاسية وتمكن الأزارقة من إحداث اضطراب شديد في صفوف جيش المهلب وكادت الهزيمة تلحق به واستغل الأزارقة هذا الاضطراب لبث الرعب في جيشه فنادى مناديهم " ألا أن المهلب قد قتل "[48] فكان لهذا النداء تأثيره السلبي على معنويات المقاتلين لولا أن تدارك المهلب الموقف وصعد إلى تل قريب من ميدان المعركة وأخذ ينادي ذويه وسائر جنده " أعيرونا جماجمكم ساعة من

نهار"فاجتمع إليه من قومه حوالي ثلاثة آلاف مقاتل [49] أمرهم بالهجوم وقتال الخوارج استغلالاً لفرصة مطاردة بعض فرسان الأزارقة للمنهزمين من رجاله في اتجاه البصرة ولم يمض وقت طويل من القتال بين الجانبين حتى قتل زعيم خوارج الأزارقة (عبد الله بن الماحور) وقتل أعداد كثيرة من رجاله واستولى المهلب على معسكرهم بما فيه من عدة وعتاد . [50] وبعد إنجاز المهلب هذا النصر أرسل رسله إلى البصرة ليبشر أهلها بالنصر ويعلمهم بسلامته وكتب كتاباً بذلك إلى والي البصرة فاستقر الناس ، وتراجع من كان قد هرب منهم خوف خوارج الأزارقة . [51] وفي الوقت نفسه قام المهلب بوضع كمائن من رجاله وفرسانه في طريق عودة الأزارقة الذين كانوا يطاردون فلول الجيش المنهزم في اتجاه البصرة فأوقعوا بهم وقضوا على معظمهم إلا من فرَّ منهم وكان ذلك سنة 66هـ/ 685 م .[52] انسحب الأزارقة إلى كرمان ومن أرض بلاد فارس ، وسيطر المهلب على إقليم الأهواز ، وأقام بقية سنة 66هـ/685 م ، يجبي الخراج ويوزع الأرزاق على جنده وجذب الرخاء والعطاء السخي أعداداً كثيرة من أهل البصرة ، فأثبتهم المهلب في الديوان ورزقهم حتى بلغ تعداد جيشه ثلاثين ألف مقاتل .[53]وظل المهلب في موضعه بالأهواز مقيماً على حرب الأزراقة حتى عزل الحارث بن عبد الله عن ولاية البصرة ووليها بدلاً منه مصعب بن الزبير من قبل أخيه سنة 67هـ/686م .[54] وعندما وصل مصعب البصرة وتسلم أمر ولايتها بعث إلى المهلب وهو على حرب الأزارقة رسالة يفهم منها التقدير الرفيع الذي كان يحظى به المهلب وآله عند ابن الزبير بسبب جهودهم في صد خطر الأزارقة وجاء فيها : " فإن الناس لو أعطوا كل إنسان قدره لقُدّمت في العرب قاطبة غير مدافع فإن طاعتك وحسن بلائك حتى بلغ بك عندنا كل الذي تحب، وما نرجوا لك به من ثواب الله أجزل وأفضل ، وأنت عندنا الأمين ، ولك بذلك عندنا الكرامة والفضيلة".[55] في الوقت الذي كان فيه المهلب يحارب خوارج الأزارقة أدرك والي البصرة مصعب بن الزبير الخطر الكبير الذي يتهدده من قبل المختار ابن أبي عبيد الله الثقفي في العراق فرغب بالتخلص منه حتى يصفو له أمر العراق ، وكان يرغب في أن يحشد لهذا الأمر أعظم قادته ، ومع علمه بخطورة الأزارقة على العراق ، إلا أنه كان حريصاً على وجود المهلب إلى جانبه في صراعه مع المختار ، فكتب مصعب كتاباً إلى المهلب يخبره بعزمه على المسير إلى الكوفة لحرب المختار ،ورغبته في أن يكون معه وطلب منه أن يولي بعض أولاده حرب الأزارقة ويقبل إليه بالبصرة .[56] لبّى المهلب نداء مصعب بسرعة فائقة فتولى قيادة ميسرة جيشه وأبلى ورجاله بلاءً حسناً في قتال المختار وانتهت المعركة بمصرع ابن أبي عبيد الله الثقفي وسيطر مصعب على ما تحت يده من مال وأملاك .[57] وبعد أن تخلص مصعب بن الزبير من خطر المختار كتب إلى إبراهيم بن الأشتر يدعوه إليه فأقبل إلى مصعب بمدينة البصرة وأرسل المهلب بن أبي صفرة بدلاً منه على ولاية الموصل والجزيرة وأرمينية وأزربيجان وعزله عن حرب الأزارقة. [58] ووجه عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي على فارس وأسند إليه هذه المهمة وأمر المهلب بالتوجه إلى الموصل والجزيرة وأرمينية .[59] ويبدو أن عمر بن عبد الله كان مقتنعاً بما قيل عن المهلب من إطالة أمد الحرب لجبي الأموال ، وكان يظن أنه يمكنه أن يحسم المعارك معهم فسار إلى خراسان والتقى بالأزارقة قرب سابور ، ولكنهم هزموه ووصلوا إلى الأهواز ، مما أغضب مصعب بن الزبير عليه ، واضطر إلى الخروج بنفسه لحماية البصرة خوفاً من وقوعها في أيديهم فاتجهوا إلى الكوفة ،ولكن نائب مصعب عليها تمكن من ردهم فعادوا إلى الري واستولوا عليها بعد قتل واليها يزيد بن الحارث ، وأثناء ذلك قتل زعيم الأزارقة الزبير بن الماحور فولوا عليهم قطري بن الفجاءة الذي انسحب إلى كرمان وجبى الأموال وأعاد تنظيم صفوفه ثم اتجه إلى الأهواز وحقق سلسلة من الانتصارات حتى أصبح يهدد البصرة وكان عامل البصرة لمصعب بن الزبير سنة 68هـ/687 م هو الحارث ابن أبي ربيعة فكتب له بخطر الأزارقة على مدينته ونصحه بأن ليس لهم إلا المهلب .[60] أدرك مصعب بن الزبير الخطأ الذي وقع فيه عندما أرسل المهلب إلى الموصل وعزله عن حرب الأزارقة ،

فاستدعاه من الموصل وأمره بقتال الخوارج والمسير إليهم وأعاد الوضع إلى ما كان عليه بأن بعث إبراهيم بن الأشتر إلى عمله وجاء المهلب حتى قدم البصرة ، وانتخب الناس ، وسار بمن أحب ثم توجه نحو الأزارقة والتقى بهم في معارك عنيفة في منطقة (سولاف) فاقتتلوا بها ثمانية أشهر حتى سنة 71هـ/690 م وفيها تحرك الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى العراق لضمها إليه واستخلاصها من ابن الزبير وتمكن من تحقيق ذلك وقتل مصعب ابن الزبير واستولى على العراق ، فبايعه المهلب ، فأقره عبد الملك بن مروان على الأهواز. [61]

وهكذا انتقل ولاء المهلب ابن أبي صفرة من ولائه لعبد الله بن الزبير إلى الأمويين في أعقاب مقتل مصعب بن الزبير وسيطرة عبد الملك على العراق عام 71هـ/ 680 م ويبدو أن المهلب أدرك اتجاه رياح التغيير وأن الظفر سيكون في النهاية للدولة الأموية وقد حدث ما توقعه بالفعل .وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي يوصف من قبل المؤرخين بأنه المؤسس الثاني للدولة الأموية بعد معاوية بن أبي سفيان أسند ولاية البصرة إلى خالد بن عبد الله بن أسيد الذي بادر إلى عزل المهلب عن حرب الأزارقة وأسند إليه خراج الأهواز ، ولم يسمح إلى نصيحة وجوه أهل البصرة بأن يترك أمر حرب الأزارقة للمهلب لدرايته وخبرته بهم . ولكن خالداً كان قد حقد على المهلب لما وصل إليه من شهرة ، ولما يتمتع به من تقدير الخليفة ،وقال لمن حوله من بني عمومته : " يا معشر قريش .... والله لقد ذهب المهلب بحظ هذا المصر ، وأمير المؤمنين يظن أن أحداً لا يقوم مقام المهلب ".[62] وبعث خالد أخاه عبد العزيز بن عبد الله مكان المهلب على حرب الأزارقة، على أمل أن يحوز بعض ما ناله آل المهلب من علو المكانة وتقدير الخليفة الأموي ، ولكن قائد خوارج الأزارقة قطري بن الفجاءة هزمه .[63] ولما وصل خبر هزيمة عبد العزيز بن عبد ا لله إلى عبد الملك بن مروان غضب لهذا التصرف من جانب والي البصرة بعزله المهلب عن حرب الأزارقة ، ووجه إليه كتاباً عنيفاً يؤكد مكانة المهلب العالية ، وتقدير الخلافة الأموية لجهوده وحسن بلائه وجاء في كتاب عبد الملك " قبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال ، وتدع المهلب يجبي الخراج ، وهو الميمون النقية ، الحسن السياسية ، البصير بالحرب المقاسي لها ، ابنها وابن أبنائها....

بعثت إلى بئرٍ بالكوفة [64]أن يمدك بجيش ، فسر معهم لا تعمل في عدوك برأي حتى يحضر المهلب والسلام."[65] وفي سنة 74هـ/693م أمر عبد الملك أخاه بشراً– وكان قد أضاف إليه ولاية البصرة مع الكوفة – أن يكلف المهلب بمحاربة الأزارقة ، وأن يترك له حرية الاختيار في من يشاء من أهل البصرة ، أن يتركه في الحرب ورأيه وحذّره من أن يقع في ما وقع فيه خالد بن عبد الله من قبل ، وهدده بالعزل إن فعل ذلك .[66] فاستدعى بشر المهلب ، وقرأ عليه كتاب عبد الملك بن مروان بتكليفه بحرب الأزارقة وأعطاه حرية أن يختار من يشاء من الرجال ، فأسند المهلب مهمة اختيار الجند إلى أحد أقاربه وهو (جديع بن سعيد) وأمره أن يأتي الديوان يختار الناس .[67] خرج المهلب من البصرة في عشرة آلاف رجل من آله وقومه وثمانية آلاف من أخلاط القبائل الأخرى ودخل بجيشه الأهواز ثم رحل عنها إلى مدينة (رامهرمز) وأقام خندقاً حول معسكره وتحرّز من مفاجآت الأزارقة التي خبرها لطول عهده بهم .وأقبل جيش الكوفة بقيادة عبد الرحمن بن مخنف فنزل بالقرب من معسكره ، ولم تمضِ عشرة أيام حتى جاء إلى رامهر فخبر وفاة بشر بن مروان في البصرة سنة 74هـ/ 693 م [68].وعندما بلغ جند البصرة والكوفة خبر موت بشر ابن مروان لم يستقروا في مواقعهم لمحاربة الأزارقة فانسحب عدد كبير منهم ، وكان ذلك من العوامل التي جعلت عبد الملك بن مروان يبحث عن رجل قوي يتولى شؤون العراق ، ويقبض على زمام الأمور بيد من حديد ، ويعيد هيبة الخلافة الأموية بين المتمردين وبين الأزارقة .

فلما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق سنة 75هـ/ 694 م ، كان من أول مهامه إرسال البعوث إلى المهلب ، ورد هؤلاء الذين تمردوا على قياداتهم ، وتركوا الحرب دون مبرر وجاء في خطاب الحجاج المشهور الذي ألقاه في الناس من على منبر الكوفة قوله :" لقد بلغني رفضكم المهلب ، وإقبالكم على مصركم عصاة مخالفين، وإني أقسم لكم بالله لا أجد أحداً بعد ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه وأنهبت داره ".[69] واتبع الحجاج حملته العنيفة في الكوفة بحملة مماثلة في البصرة ،وتوعد العصاة من جند المهلب وأمهلهم ثلاثة أيام ، فسارع العسكر للالتحاق بفرقهم .[70] وكتب الحجاج إلى المهلب يقره على حرب الأزارقة وحاجته إليه عن رغبة واقتناع وجاء في كتابه "... فإن بشر بن مروان وجهك إلى الحرب التي للأزراقة وكان مستكرهاً لنفسه فيك، وأنا أريدك لحاجتي إليك ، فأبشر وقرّ عيناً ، وأثبت على حرب القوم ".[71]

كما اعترف الحجاج للمهلب بشرطه الذي اشترطه على أهل البصرة قبل بداية حرب الأزارقة سنة 65هـ/ 684 م بأن يكون له خراج ما غلب عليه من البلاد ، " فكانت الأموال تنقل إليه من أرض فارس مكتوب عليها : هذا ما أطعم الله المهلب بن أبي صفرة مما غلب عليه من بلاد الله ، يحمله إلى قومه من الأزد لا يعترض عليه معترض ".[72] ونلاحظ في هذه المرحلة من القتال مع الأزارقة أن القيادة التي كانت تحارب الأزارقة في رامهرمز لم تكن واحدة فكان أهل البصرة تحت قيادة المهلب ، وأهل الكوفة تحت قيادة عبد الرحمن بن مخنف ، ودارت بين الجانبين معارك عنيفة قتل فيها أعداد كبيرة من الجانبين ، وقتل خلال ذلك عبد الرحمن بن مخنف وصمد المهلب برجاله في وجه الأزارقة .[73] بعد مقتل عبد الرحمن بن مخنف عين الحجاج لقيادة أهل الكوفة عتاب بن ورقاء ، ويبدو أن عتاباً كان حاقداً على المهلب ويأنف من العمل تحت قيادته ، مما أثار ذلك خطر وجود قائدين متنافسين في مواجهة عدو شرس خوارج الأزارقة فاستغل فرصة شكوى عتَّاب بن المهلب فأمر عتاباً بالعودة إلى الكوفة فقام المهلب بإسناد قيادة ما تحت إمرة عتاب إلى ابنه حبيب [74] ، وهكذا توحدت قيادة الحرب ضد الأزارقة وأصبحت في بلاد فارس وكرمان[75]، وخلال هذه الفترة كان الحجاج يتابع معارك المهلب وبنيه ضد الأزارقة في ثلاثة أحوال:

موت زعيم الأزارقة (قطري بن الفجاءة) ، أو وقوع الفرقة والاختلاف فيما بينهم بين المهلب وآله وبين خوارج الأزارقة وظل المهلب يطارد عدوه من مدينة إلى أخرى ، وكان المهلب ينصح أبناءه المشاركين معه في القتال قائلاً: لا تبدوؤهم بقتال في فرسان من الأزارقة في إحدى المعارك للمهلب ، أسند المهلب مهمة قتالية إلى ابنه يزيد وقال له : " يا بني هذا عطية بن الأسود قد أقبل في فرسان الأزارقة ، فاخرج إليه في إخوانك الذين تثق بهم من الإقدام على المكروه " فما كان من يزيد إلا أن نادى فرسان قومه فاجتمعوا إليه وساروا تحت قيادته لقتال الأزارقة حيث استمرت معاركه معهم من سنة 75هـ/ 694م إلى سنة 77هـ/ 696 م ولما بلغ المهلب ما حل بهم من الاختلاف قال لأصحابه : " ابشروا فهذا الذي كنت أرجوه من هؤلاء الخوارج وقد أذن الله في هلاكهم".[78] انتظر المهلب حتى انتهى القتال بين زعماء الأزارقة وتفرقت جموعهم فسارت جماعة منهم بقيادة قطري بن الفجاءة إلى مدينة (جيرفت) قدر عددها بعشرة آلاف .[79] وفريق بقيادة الخارجي عبد ربه الكبير وكان يقود سبعة آلاف وفريق ثالث بقيادة عبد ربه الصغير في أربعة آلاف ، وكان كل فريق منهم يرغب في حرب المهلب ليظهر أمام الناس جهاده وأنه أفضل من غيره .[80] حاصر المهلب مدينة (جيرفت) وبها قطري بن الفجاءة ورجاله حصاراً شديداً وساءت الأحوال داخل المدينة المحاصرة حتى اضطر قطري إلى الخروج من الحصار ومواجهة مصيره في صدام مع جيش المهلب ، ويبدو أن عبد ربه الصغير قد ساءه ما آل إليه حال قطري فجاء لمساندته بأربعة آلاف من الأزارقة فأسند المهلب إلى ابنه يزيد مهمة التصدي له وإبعاده عن الاشتراك في الحرب بجانب قطري فتصدى له وتمكن من قتله ومعظم مقاتليه وظفر بمعسكرهم وغنم ما فيه

.[81] وفي الوقت نفسه قام المهلب بتعبئة أصحابه في كتائب وجعل على كل كتيبة رجلاً من أولاده ، قال لهم : " إنما أقاتل لله ، وأنتم لا تملكون رقاب الناس وإنما تملكون طاعتهم .[82] ودارت معركة عنيفة حول مدينة (جيرفت) اشتد فيها القتل ، وعندما أدرك القائد الخارجي عبد ربه النهاية نزل عن فرسه وتبعه أصحابه وقاتله المهلب بآله ومقاتليه وانتهت المعركة بقتل الزعيم الخارجي عبد ربه الكبير مع أربعة آلاف من مقاتليه .[83] دخل المهلب مدينة جيرفت بعد النصر فاستولى على ما كان فيها من أمتعة الأزارقة وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وسبى لأن الخوارج كانوا يسبون المسلمين . [84] وبعد هذه المعركة الفاصلة تم مطاردة قطري بن الفجاءة حتى تمكن المهلب من قتله عام 77هـ/ 696 م في شعب من شعاب طبرستان ، كما قتل زعيمهم الآخر عبيدة بن هلال في قصر تحصَّن به (بقومس) .[85] وانتهى بهذا خطر الأزارقة على الدولة الأموية .أرسل المهلب إلى الحجاج مبشراً بالنصر على الأزارقة ، فلما دخل المبشر مجلس الحجاج، سأله عما كان عليه حالهم في حرب الأزارقة ، وطلب منه أن يخبره عن آل المهلب ، فقال له : "المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، وجوادهم وسخيهم قبيصة ، لا يستحي الشجاع ، أن يفرّ من مدرك ، وعبد الملك سم ناقع ، وحبيب موت زعاف ، ومحمد ليث غاب ، وكفاك بالمفضل نجدة ، قال الحجاج فأيهم كان أنجد ؟

قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها ".[86]

فاستحسن الحجاج ما قاله الرجل في آل المهلب .

وكتب إلى المهلب يشكره على جهوده ويعتذر إليه عما بدر منه أثناء المعارك من استبطائه في حرب الأزارقة [87] وأمره القدوم عليه في آل بيته وفرسانه وأن يولي كرمان من يثق به من أبنائه .فلما قدم المهلب على الحجاج أظهر إكرامه وقال : " يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب " .[88] وطلب منه أن يعرض عليه فرسانه الذين خاضوا المعارك وأن يصف له بلاءهم .فأكرمهم وأحسن العطاء لهم وزاد فيه ثم قال : " هؤلاء أصحاب الفعال وأحق بالأموال هؤلاء أصحاب الثغور وغيظ الأعداء ".[89] وأراد الحجاج أن يجيز المهلب ويكرمه ، فولاه على خراسان ويبدو أن المهلب كان حريصاً على البقاء في البصرة بعد العناء الذي بذله في قتال الأزارقة ، فبعث ابنه حبيباً نائباً عنه إلى خراسان ، فوافق الحجاج وقام بوداع حبيب بنفسه ووصله بعشرة آلاف درهم ، وظل حبيب مقيماً في خراسان مدة عشرة أشهر حتى لحق به المهلب سنة 79 هـ/698 م .[90]ونلاحظ أن المهلب في فترة ولايته على خراسان ما بين (78–82هـ/697701 م) لم يركن إلى الدعة والراحة، واستمر في نشاطه العسكري ، وظل مع بنيه يقاتلون في هذه الجبهة قتالاً مستمراً ضد أعداء المسلمين في سمرقند وبخارى وطخارسان وكلما فتح فتحاً أخرج من ذلك الخمس فوجه به إلى الحجاج وقسم باقي الفيء في أصحابه ، وفرح أهل خراسان بولاية المهلب عليهم فرحاً شديداً ما حازوه من شرف الجهاد وما حصلوا عليه من الغنائم .[91] وفي عام 80هـ/ 699 م اجتاز المهلب بفرسانه نهر بلخ شرقاً ونزل على كش إحدى مقاطعات جرجان ثم وجه ابنه يزيد للاستيلاء على بلاد الختل ووجه ابنه حبيب إلى بخارى بجيش كبير قدر بأربعين ألفاً وتمكن من إخضاعهم .[92] وفي تلك الفترة قامت ثورة عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ضد الحجاج وضد بني أمية وحاول ابن الأشعث أن يستميل إليه المهلب والي خراسان ولكن المهلب رفض الاستجابة للفتنة وجاء في كتابه إليه : " فانظر لنفسك لا تهلكها ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة لا تفرقها ، والبيعة فلا تنكثها ".[93] وظل المهلب مقيماً على ولائه لبني أمية حتى نكب في رجب سنة 82هـ/701 م بوفاة ابنه المغيرة الذي كان نائباً عنه في مرو فتوجه المهلب لدفن ابنه حيث وافته المنية وفي الطريق إليه أصيب المهلب بمرض شعر معه بدنو أجله ، فجمع أولاده وأعلن استخلاف ابنه يزيد عليهم ثم توفي في (مرو الروز) ودفن فيها سنة 82هـ/701م .[94]ويبدو أن آل المهلب بعد وفاة

عميدهم المهلب لم تبق لهم المكانة نفسها والقدر الرفيع عند الحجاج وعبد الملك بن مروان وبقية الخلفاء الأمويين فقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية أن يزيد بن المهلب كتب إلى الحجاج يعلمه بوفاة والده فأقره الحجاج على خراسان مكان أبيه فاستقر بها وأخذ ينظم شؤونها .[95]وفي سنة 83هـ/702 م كان الحجاج بن يوسف الثقفي ما زال على حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي الذي انضوت تحت زعامته قبائل يمانية عديدة .وكانت أهم المعارك التي خاضها في هذه السنة معركة (دير الجماجم) بالقرب من مدينة الكوفة والتي انتصر فيها الحجاج على ابن الأشعث.[96]

وبعد أن فرغ الحجاج من ثورة عبد الرحمن بن الأشعث اتجه باتجاه يزيد بن المهلب وآله يريد القضاء عليه وعزله عن خراسان .ويبدون أن الحجاج كان يرى في يزيد بن المهلب أكبر منافس له لدى الخلافة الأموية ، وأنه يمكنه أن يحل مكانه ويتولى ما تحت يده من أعمال .[97] وتذكر الروايات التاريخية أن الحجاج كان يبحث عن سبب لإقناع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بعزل يزيد بن المهلب عن خراسان، فأكثر من الكتابة للخليفة بذم يزيد وآل بيته ويتهمهم بأنهم من جماعة عبد الله بن الزبير .[98] ومع علم عبد الملك ابن مروان بأن هذه التهمة لا قيمة لها الآن بعد ما حققه آل المهلب من انتصارات ضد أعداء الدولة الأموية ، إلا أن إلحاح الحجاج دفع الخليفة إلى أن يكتب إليه : " قد أكثرت في يزيد وآل المهلب ، فسم لي رجلاً يصلح لخراسان ،فسمى له قتيبة بن مسلم الباهلي".[99] ونستنتج مما سبق أن عبد الملك كان يدرك حقيقة مشاعر الحجاج وحقده على يزيد وآل المهلب .رغم ذلك فقد استجاب الخليفة لطلب الحجاج وعزل يزيد عن خراسان بقتيبة بن مسلم سنة 85هـ/ 704 م .ربما كان هذا الإجراء من قبل عبد الملك لمنع الفتنة ووقوع الصدام بين يزيد والحجاج مما ينذر بسوء العاقبة .أول إجراء قام بن الحجاج بعد عزل يزيد هو إلقاء القبض عليه ومعظم أفراد أسرته وأخذهم بسوء العذاب وأغرمهم ستة ملايين درهم [100] ، وظل يزيد في سجن الحجاج حتى سنة 90هـ/708 حيث تمكن يزيد وإخوته من الهرب من قبضة الحجاج .

ولجأ إلى سليمان بن عبد الملك واستجار به [101] ، فأجاره وقربه منه، ونشأت صداقة وود بين الرجلين وظل الحال على ذلك حتى وفاة الوليد بن عبد الملك وتولي سليمان الخلافة سنة 96هـ/714م .وهكذا حظي يزيد بن المهلب وآله بمكانة مرموقة ونفوذ قوي في ظل حكم الخليفة الجديد الذي ما كاد يتولى الخلافة حتى دعا يزيد بن المهلب ، فخلع عليه وأكرمه وأسند إليه ولاية العراق وأمره أن يقتص ممن بقي من آل الحجاج ومساعديه ومصادرة أملاكهم .[102] وفي سنة 97هـ/715م استعمل سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب على خراسان مضافة إلى العراق ، فولى يزيد أخاه زياداً على عُمان .[103]سعى يزيد بن المهلب بعد توليه خراسان إلى تحقيق ما كان يصبو إليه من أهداف ، فبعد أن قبض على زمام الأمور في ولايته ، قضى على الثورات في جرجان وطبرستان وحارب الترك والديلم واستعان بآله في الإدارة والقيادة ،فولى ابنه مخلداً سمرقند ، وولى ابنه مدرك بلخ ثم ابنه محمد على مرو وعظم أمر يزيد في خراسان [104] .مما ساعده على القيام بسلسلة من الفتوحات والغزوات الناجحة وكتب إلى سليمان بن عبد الملك بذلك وأن الفيء عشرون ألف ألف، خلاف ما أعطاه لجنده من هذا الفيء ومن الغنيمة. [105]لما مات سليمان وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة 99هـ طالب يزيد بن المهلب بهذه الأموال التي لم يثبت توريدها لبيت مال المسلمين في دمشق وطلب منه عمر القدوم إليه ، ولما أنكر يزيد هذه الأموال أمر الخليفة بسجنه حتى يؤدي ما عليه من أموال المسلمين .[106]ولما علم يزيد بن المهلب أن عمر بن عبد العزيز على فراش الموت وكانت علاقته بولي عهده يزيد بن عبد الملك سيئة للغاية ، خاف على نفسه منه، فدبر خطة أفلحت في فراره من سجنه.[107] مات عمر بن عبد العزيز سنة 101هـ/ 719 م وتولى يزيد بن عبد الملك أمر الخلافة الأموية وكان أهم مشاغله أن يقبض على يزيد بن المهلب غير أن يزيداً

تمكن من الوصول إلى مدينة البصرة واستولى على بيت مالها وأخذ يوزعه على أتباعه وعلى كل طامع وأرسل عماله إلى الأهواز وفارس وكرمان وأعلن الثورة ضد بني أمية .وكان الحسن البصري أبرز وجوه أهل البصرة تقدم من يزيد بن المهلب ونصحه بعدم الخروج على السلطة الأموية لكن يزيداً لم يأخذ بنصيحته فأخذ يخذل الناس عنه في البصرة .[109] بينما حشد له يزيد بن عبد الملك جيشاً شامياً كثيفاً بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك أحد أبطال الفتح البارزين ، مما أدى إلى إثارة الخوف في نفوس رجال ابن المهلب ولكنه شجعهم وشحذ هممهم وقوّى من معنوياتهم لمواجهة الجيش الأموي. وقد حدث اللقاء بين الرجلين في موقع العقر قرب الكوفة حيث تمكن مسلمة من قتل يزيد بن المهلب والعديد من آله وجيشه وتمكن من أسر أعدادٍ كبيرة منهم ولحق جنده من فرَّ من جيش ابن المهلب إلى البصرة وقندابيل وأعملوا السيف في رقابهم ولم ينج منهم إلا القليل .[110] وبعد هذه النكبة لم يعد لآل المهلب أي دور مهم في الأحداث السياسية أو العسكرية لسنوات طويلة في ظل حكم الدولة الأموية ، حتى ظهر نشاط أحدهم في منطقة البصرة الأهواز سنة 129هـ/ 746م وهو سليمان بن حبيب بن المهلب .إذ أيد الدعوة العباسية وقد أيد المهالبة واليمانية بعامة هذه الدعوة انتقاماً من بني أمية .وقد كافأ العباسيون بعد انتصارهم على الأمويين سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب الذي كان قد أعلن هو الآخر الثورة في البصرة ولبس السواد شعار الدولة العباسية ، فأسندوا إليه القضاء على النفوذ الأموي في ولاية البصرة ، وردوا إليه أملاك آل المهلب التي كانت الدولة الأموية قد صادرتها .

خاتمة البحث ونتائجه:

مما تقدم تبين لنا من خلال تتبع الدور الذي شغله المهلب بن أبي صفرة وآله في عصر الدولة الأموية. أن هذا القائد الملهم قدم خدمات جليلة لعدد من خلفاء الدولة الأموية وعمالهم في مشرق الدولة الإسلامية وقد تمحورت منجزاته في خدمتهم بالقضاء على ثورات الخوارج المتلاحقة والتي نشبت في وجه البيت الأموي خاصة الأزارقة منهم الذي عرف عنهم القوة العسكرية وشدة كرههم للأمويين .إلى جانب ذلك نجد أن حاكم العراق والمشرق الإسلامي آنذاك الحجاج بن يوسف الثقفي إلى جانب الخلفاء الأمويين يقدرون عالياً ما قدمه المهلب وآله من خدمات لهم خاصة في مجال إخماد الثورات والاضطرابات .

إلى جانب مساهمته في أعمال الفتوح بعد تمكنه من القضاء على الخوارج في منطقة سمرقند وبخارى وبلاد الترك . واستمر المهلب وآله بإخلاصهم للأمويين طيلة حياة المهلب غير أن الأمور انقلبت رأساً على عقب بعد وفاته بالنسبة لأولاده وآله .فأحباء الحجاج من المهالبة بالأمس أصبحوا أعداء اليوم ومنافسين له على كرسي السلطة في قصر الخليفة الأموي من هنا جاءت إجراءاته بعزلهم عن حكم خراسان وسجنهم ومصادرة أموالهم، ولم تشفع لهم خدماتهم وإنجازاتهم العسكرية في خدمة الدولة الأموية عند الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك، عندما لحقت بهم الضربة القاضية من قتل وتشريد لتنتهي مع هذه الضربة تاريخ شخصية عربية قيادية تعددت منجزاتها العسكرية في عصر الدولة الأموية .

مصادر البحث ومراجعه:

1-ابن قتيبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم ، ت 276هـ/ 889م) ، كتاب المعارف ، طبعة القاهرة ، 1969 م ، ص339 .الأصفهاني : (أبو الفرج علي بن الحسين ، ت 356هـ/967م ، كتاب الأغاني ، طبعة دار الكتب بيروت ، والقاهرة 1972 . ج2ص75) .

2-ابن حجر : (أحمد بن علي حجر العسقلاني ، 852هـ/1449م) ، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ، طبعة بيروت ، 1328هـ ، ج4 ص108) .

3-ابن خلكان : (أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي أبو العباس ، ت681هـ/1282م) كتاب وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، طبعة بيروت بدون تاريخ ، ج5 ص358 .

4-البطاشي : (سيف بن حمود) ، تاريخ المهلب القائد ، سلطنة عمان بدون تاريخ ص13,22 .

5-ابن حجر : مصدر سابق ، ج4. ص108 .هناك رواية أخرى رواها أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني مفادها أن تسميته بأبي صفرة لأنه كان يصغر لحيته ، ج2 ص76 .

6-ابن عبد البر : (يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ، ت463هـ/1071م) ، كتاب الاستيعاب ، طبعة بيروت ، 1328 ، ص109 .

7-السالمي : (نور الدين) ، تحفة الأعيان ، سلطنة عمان بدون تاريخ ، ج1 ص53 وما بعدها .

8-ابن سعد : (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري (230هـ/845م) الطبقات الكبرى ، مطبعة دار صادر بيروت بدون تاريخ ، ج2 ، ص114-115 9-البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت 279هـ/892م)، فتوح البلدان طبعة مصر بدون تاريخ ، ص93 .

10-العوتبي : (سلمة بن مسلم الصحاري) ، كتاب الأنساب ، عمان 1984 م ، ص ج2 ص121 .

11-ابن خلكان : مصدر سابق ، ج4 ص 323-329 .

12-السالمي : مرجع سابق ، ص45 .

13-السالمي : مرجع سابق ، ص43 .

14-الأصفهاني (أبو الفرج) . ت 966/256 ، مصدر سابق ، ج2 ص76 . مطبعة بيروت 1978 م .

15-العوتبي : مرجع سابق ، ج2 ص122 . السالمي : مرجع سابق ، ص46 .

16-اليعقوبي : (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، ت384هـ/ 897م) ، تاريخ اليقعوبي ، طبعة دار صادر ، بدون تاريخ ، ج1 ص203-204 .

17-العوتبي : مرجع سابق ، ج2 . ص122 .

18-السالمي : مرجع سابق ، ص46 .

19-ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد ، ت808هـ/ 1406م) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ الخبر، طبعة بيروت 1986 م ، ج2 ص989 .

20-ابن أعثم : (أحمد بن أعثم الكوفي ، ت314هـ/ 629م) ، كتاب الفتوح المغازي ، ح1 ص326 بيروت 1992 .

21-العوتبي : مرجع سابق ، ج2 ص125 . السالمي : مرجع سباق ص.48

22-العوتبي :مرجع سابق ج2 ،ص125-.126

23-السالمي : مرجع سابق ج2 ص127. البطاشي : مرجع سابق ، ص25 .

24- ابن خلكان : مصدر سابق ، ج5 ص351 .

25-النويري : (أحمد بن عبد الوهاب ، ت732هـ/1331م) كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بدون تاريخ ، ج2 . ص266 .

26-البلاذري : مصدر سابق ، ص531 .

27–اليعقوبي :مصدر سابق ، ج2. ص222 .

28–الطبري : (محمد بن جرير ، ت310هـ/923م) ، تاريخ الرسل الملوك ، طبعة دار الكتب ، بيروت بدون تاريخ ، ج5 ص251 .

29–الطبري : مصدر سابق ، ج2 . ص305 .

30–البلاذري : مصدر سابق، ص.508

31–ابن أعثم : مصدر سابق ، ج3 .ص157–159. اليعقوبي : مصدر سابق ، ج2.ص252 .

32–اليعقوبي : مصدر سابقب، ج2. ص253 .

33–الطبري : مصدر سابق ، ج5. ص545 .

34–النويري : مصدر سابق ، ج2 .ص513 .

35–ابن خلكان : مصدر سابق ، ج5 .ص351 .

36–ابن أعثم:مصدر سابق ، ج3 . ص201 . النويري: مصدر سابق ، ج2 .ص323–324 .

37–اليعقوبي : مصدر سابق ، ج2 ص264–265 .

38–الطبري : مصدر سابق ، ج5 . ص615–616 .

39–النويري : مصدر سابق ، ج20 .ص224 . اليعقوبي : مصدر سابق ج2 ص265 .

40–ابن الأثير : (محمد بن عبد الكريم الشيباني ، ت630هـ/1233 م) ، الكامل في التاريخ طبعة بيروت 1415 هـ . ج4 ص.196

41–ابن الأثير : مصدر سابق ، ج4 . ص196 .

42–المبرد : (أبو العباس محمد بن يزيد ، ت285هـ/898م) الكامل في اللغة الأدب القاهرة ، 1937م ، ص226 .

43–المبرد :مصدر سابق ، ص227 .

44–المبرد : مصدر سابق ، ص227 .

45–الحميري : (محمد بن عبد المنعم ، ت727هـ/1326م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مطبعة لبنان بيروت ، 1984 م ، ص248 .

46–ابن الأثير :مصدر سابق ، ج4 .ص197 .النويري :مصدر سابق ، ج2 .ص325 .

47–المبرد : مصدر سابق ، ص233 .

48–المبرد : مصدر سابق ، ص235 .

49–الطبري : مصدر سابق ، ج5.ص618 .

50–الحميري : مصدر سابق ، ص248 .

51–المبرد : مصدر سابق ، ص240 .

52–ابن الأثير : مصدر سابق، ج4 .ص196–200 .

53–اليعقوبي : ج2 .ص246–265 .

54–النويري : مصدر سابق ، ج21. ص44 .

55–ابن أعثم : مصدر سابق ، ج3 .ص22 0 .

56–النويري : مصدر سابق ، ج21. ص46–48 .

57-ابن أعثم : مصدر سابق ، ج3 .ص326 .
58-الطبري : مصدر سابق ، ج6.ص112 . النويري : مصدر سابق، ج20. ص252 .
59-الطبري : مصدر سابق ، ج6. ص112 .
60-الطبري : مصدر سابق، ج6.ص112 .
61-ابن كثير : (أبو الفداء ابن كثير الدمشقي ، ت774هـ/1327م) ، البداية والنهاية بيروت لبنان 1998 م ،ج8. ص383 .
62-ابن أعثم : مصدر سابق ، د3 .ص406 .
63-الطبري : مصدر سابق ، ج6. ص169. النويري : مصدر سابق ، ج21.ص.147
64-الطبري: مصدر سابق ، ج6.ص169 .
65-النويري: مصدر سابق ، ج21. ص.169
66-ابن أعثم : مصدر سابق ، د3 . ص418 .
67-الطبري : مصدر سابق ، ج6 ص196 .
68-ابن الأثير / مصدر سابق ، ج4 ص366 .
69-الطبري : مصدر سابق ، ج 6 ص204 .
70-النويري : مصدر سابق ، ج21 ص214 .
71-المبرد: مصدر سابق ، ص.266
72-ابن أعثم : مصدر سابق ، ج4 ص14 .
73-النويري : مصدر سابق ، ج21 ص151-152 .
74-الطبري : مصدر سابق ، ج6 ص231 .
75-الطبري : مصدر سابق ، ج6 ص301 .
76-المبرد : مصدر سابق ، ص277 .
77-النويري: مصدر سابق ، ج21 ص155 .
78-ابن أعثم : مصدر سابق ، ج4 ص41 .
79-ابن أعثم :مصدر سابق ، ج4 ص41 .
80-ابن أعثم : مصدر سابق ، ج4 ص42 .
82-ابن أعثم : مصدر سابق ، ج4 ص47-48 .
83-ابن أعثم : مصدر سابق ، ج4 ص50 .
84-الطبري : مصدر سابق ، ج6 ص304 .
85-الطبري : مصدر سابق ، د6 ص309 .
86-المسعودي : (علي بن الحسن ، ت346 هـ/ 957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت 1986 م .
87-ابن أعثم : مصدر سابق ، ج4 ص56 .
88-النويري : مصدر سابق ، ج21 ص158 . ابن خلكان : مصدر سابق ، ج5 ص315

89–ابن الأثير : مصدر سابق ، ج4 ص448 .

90– النويري : مصدر سابق ، ج21 ص268 .

91– ابن أعثم : مصدر سابق ، ج21 ص201 .

92–ابن الأثير : مصدر سابق ، ج4 ص453 . الطبري : مصدر سابق ، ج6 ص326 .

93–الطبري : مصدر سابق ، ج6 ص338 .

94– ابن أعثم : مصدر سابق ، ج4 ، ص89 .

95–ابن أعثم : مصدر سابق ، ج4 ص58 .

96–النويري : مصدر سابق، ج21 ص329 .

97–ابن خلكان :مصدر سابق، ج6 ص278 .

98–الطبري : مصدر سابق ، ج6 ص395 .

99–ابن خلكان :مصدر سابق ، ج6 ص289 .

100– ابن خلكان : مصدر سابق ، ج6 ص288–289 .

101–الطبري : مصدر سابق ، ج6 ص488 .

102–ابن أعثم : مصدر سابق ، ج4 ص187 . النويري : مصدر سابق ، ج21 ص343.

103–الطبري : مصدر سابق ، ج6 ص488 .

104–البلاذري : مصدر سابق ، ص412 .

105–البلاذري : مصدر سابق ، ص415–416 .

106–ابن الأثير : مصدر سابق ، ج5 ص48–49 .

107–ابن الأثير : مصدر سابق ، ج5 ص71 .

108– ابن أعثم : مصدر سابق ، ج4 ص245–246 .